

الفرق بين عرض آيات الله في الكون ودلائل خضوع الكون لله تعالى

د. محمد دودح

باحث علمي في هيئة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة

السؤال : ما هو الفرق بين عرض آيات الله في الكون ودلائل خضوع الكون لله تعالى؟

الجواب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

مستعينا بالله تعالى أجب على السؤال (ما هو الفرق بين عرض آيات الله في الكون ودلائل خضوع الكون لله تعالى؟)، وكأنه يتعلق بمدى مطابقة الآيات المتعلقة بوصف الكون في القرآن الكريم لما كشفتها العلوم حديثاً من أسرار الكون:

الإيمان بوجود الله تعالى فطرة في النفس الإنسانية، وإذا نظر الإنسان إلى الكون حصل له علم ضروري بأن هذه النظم الحكيمة والكانونات المهيأة بعناية لم توجد صدفة بل لابد لها من موجد أو جدها، ويرينا التاريخ كيف أن جميع الشعوب سعت فطرياً نحو العبادة وإن ضلت السبيل وأنه لا بد من قدرة واعية تحاسب الناس بالعدل فتكافئ المحسن وتعاقب المسيء، وكانت بعثة الأنبياء ضرورة لهداية الناس نحو الطريق الصواب، وبعث كل نبي لقومه خاصة مؤيداً بمعجزة شاهدة حتى اختتمت سلسلة النبوات ببعثة النبي محمد بلسان قومه برسالة عالمية مؤيداً بالمعجزة الخالدة وهي القرآن الكريم، وقد حوي القرآن من دلائل النبوة ما كفى لتوحيد أمم مشتتة وبناء حضارة عالمية عادلة امتدت لأطراف المعمورة لقرون، وفي عصر العلم بقي القرآن وحده بصفته معجزة لكل الأمم نابضاً بالحياة يفيض بحجج علمية في مختلف الميادين، وتوارت دونه كل الكتب التي تعكر فيها صفو العقيدة وبقيت منسوبة للوحي فلم تثبت للنقد العلمي على يد أتباع نزيهين.

ولم يملك المقلدون دفاعاً إلا بالتشكيك وإثارة الشبهات والإدعاءات المفتقدة للدليل على النبي ﷺ والقرآن والإسلام، فتغافل الأب تيري على سبيل المثال وادعى أن: "النبي محمد ﷺ قد حرم صراحة أي استعمال للعقل لإثبات وجود الله تعالى" وأن: "استعمال العقل ليس من الواجبات الأساسية في القرآن" محاضرات في الفلسفة الإسلامية والثقافة الفرنسية، بينما يدعو القرآن صراحة للاستدلال العقلي في مواضع كثيرة بالنظر في الكون لاستطلاع دلائل قدرة الخالق سبحانه وتعالى وعظمته؛ يقول تعالى: "قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ" يونس ١٠١، ويقول تعالى: "أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ افْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ. مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" الأعراف ١٨٥ و١٨٦، وينتهي القرآن الكريم صراحة على أولئك الذين يعقلون ويجعل من عداهم في عداد البهائم لأنهم لا يفكرون؛ يقول تعالى: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صَمٌّ بِكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" البقرة ١٧١، ويقول تعالى: "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" الأنفال ٢٢، وقال تعالى: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" الفرقان ٤٤، وبعد استعراض مظاهر كونية عديدة تعلن عن ضرورة المشيئة الواعية وسبق التقدير

في الخلق يقصر تعبير القرآن الكريم الانتفاع بها على الذين يعقلون؛ يقول تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" البقرة
١٦٤، ويقول تعالى: "وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُوسَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ" النحل ١٢، ويقول تعالى: "وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" الجاثية ٥، واعتبرت الموجودات بذاتها في القرآن الكريم دلالة فسميت آيات؛ يقول
تعالى: "وَكَايِنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ" يوسف ١٠٥، واعتبرت الإشارة إليها
في كتاب الله تعالى أيضا آيات؛ يقول تعالى: "تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ"
الجاثية ٦، وبهذا ينكشف جليا أن من المستشرقين من لا تحكمهم نزاهة الباحث عن الحقيقة وإنما البعض مغرضون
متحيزون وبحكم مسبق يفتشون عن ذريعة.

وترد المطابقة مع الواقع بتلطف لا يلفت عن غرض، فتخبرك الكشوف مثلا أن الأرض ليست إلا كوكبا يدور حول نفسه
وحول الشمس كبقية توابع الشمس، وما نراه يمر من آيات السماوات كالشمس والقمر والنجوم حول الأرض الساكنة
ليس إلا الظاهر والحقيقة أن سكان الأرض هم الذين (يمرون) على آيات السماوات كما يمرون على معالم الأرض،
والقرآن ينسب المرور على معالم السماوات إليهم بالعبارة (وَكَايِنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا..)،
وبهذا كانت المخلوقات في القرآن آيات على عظمة الخالق وذكرها آيات على قدرته وكشف خفاياها بتلطف آيات على
علمه وحكمته، وليس من قبيل الصدفة أن يفيض القرآن دون ما ينسب سواه للوحي بما يوافق الحقيقة قبل أن يكتشفها
الباحثون بقرون، لأنه وعد صريح نراه يتحقق اليوم قد تردد في مواضع عديدة أكثرها جلاء نص لا يمكن صرفه عن
ظاهره وهو قوله تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ" فصلت ٥٣.